

الإرهاب الإسلامي كبديل عن الإرهاب الشيوعي في منظور الولايات المتحدة الأمريكية

لونيسى علي

معهد الحقوق، المركز الجامعي البويرة

مقدمة

راج في أعقاب نهاية الحرب الباردة القول في الغرب أن الإسلام هو العدو الجديد بعد انهيار الشيوعية، وأن خطر الإسلام يرجع في جزء منه إلى طبيعته الإرهابية وتعصبه ورفضه لأنماط الحياة الأخرى، وتضمنه على تعاليم الجهاد ضد غير المسلمين، وما تضمنه القرآن الكريم من أحكام تخص المسلمين على معاداة اليهود والنصارى¹. ولقد لاقى هذه النظرية رواجاً كبيراً بعد هجمات 11 سبتمبر 2001. بعد أن اتهمت الإدارة الأمريكية بقيادة "جورج بوش الابن" تنظيم القاعدة بقيادة "أسامة بن لادن" بتفجيرات 11 سبتمبر 2001².

¹ - عبد الله الأشعل، المسلمون والنظام العالمي الجديد، دار المعارف، القاهرة. ص 121.

² - السيد مصطفى أحمد أبو الخير، تحالفات العولمة العسكرية والقانون الدولي، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الجديدة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005. ص 152.

مما لاشك فيه أن بروز تيار الإسلام السياسي في العقود الثلاثة الماضية على نحو ملفت، واجتاحت المنطقة وبخاصة في العقدين ونيف الماضيين، حيث أضفى نوعاً جديداً من الحوار والعدل والصراع والتصادم بسبب بعض الآراء والأفكار والاجتهادات والتطبيقات والممارسات التي جاء بها من جهة، وبسبب ردود الأفعال الحادة والرافضة التي واجهها من جهة أخرى والتي أنكر بعضها حقها في الوجود والعمل السياسي، وما نجم عن ذلك من أعمال تعصب وتطرف وعنف وإرهاب وتجاوز عن القانون. ولم تكن الموجة الإسلامية بعيدة عن بعض التداخلات والتشجيعات الأجنبية وبخاصة ما له علاقة بظاهرة "العرب الأفغان"¹ والصراع الإيديولوجي ضد كل ما هو مخالف للتنظيم الإسلامي الراديكالي. وهو ما انكشف على نحو واضح بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 الإرهابية. ولو نظرنا في أعداد الذين قُتلوا نتيجة هجمات القاعدة والمنظمات المتطرفة الأخرى التي تعمل باسم الإسلام، لوجدنا حوالي (90 %) منهم من المدنيين غير المقاتلين². وهكذا ففضلاً عن عدم مشروعية أعمال المتطرفين أصلاً، فإن استخدامها وسيلة بهدف حماية المسلمين ما كانت ناجحة بل أدت إلى عكس المقصود منها.

¹ - عبد الحسين شعبان، الإسلام والإرهاب الدولي. ثلاثية الثلاثاء الدامي. الدين.

القانون. السياسة، دار الحكمة لندن، الطبعة الأولى، 2002. ص 122.

² - رضوان السيد، أحداث 11 سبتمبر والغايات التي لا تبرر الوسائل، جريدة الأحداث، يومية وطنية، العدد (724) الصادر بتاريخ 2004/9/16. ص 6.

هل يكون هذا المفهوم القاصر خارجياً أو داخلياً للتعاليم الإسلامية وللتطبيقات المشوهة أحياناً مبرراً لشن الهجوم على الإسلام والمسلمين ووصفهم بالإرهابيين وأنهم يشكلون مرتعاً خصباً لنمو وانتشار ظاهرة الإرهاب الدولي؟ أم أن الأمر يتعدى ذلك ليندرج تحت غطاء الإستراتيجية الأمريكية المضمرة لتحقيق مآربها الدفينة منذ مئات السنين. خاصة بعد أقول العدو الأحمر المتمثل في المعسكر الاشتراكي الشيوعي. ألا وهو فرض الهيمنة الأمريكية على العالم وتحقيق الإمبراطورية الأمريكية وكل هذا تحت شعار محاربة الإرهاب الدولي الذي يأخذ شعار الإسلام والمسلمين؟

هذا ما سنحاول تحليله في موضوعنا هذا، حيث نتناول الأسباب الحقيقية التي جعلت الدول الغربية عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة التذرع بفكرة الإرهاب الإسلامي لإنتاج فكرة محاربة الإرهاب (المبحث الأول)، ثم نتطرق إلى الأهداف الحقيقية والإستراتيجية الخفية التي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيقها من وراء فكرة الإرهاب الإسلامي (المبحث الثاني).

المبحث الأول: الحملة الغربية ضد الإرهاب الإسلامي

بعد عقد من انهيار الشيوعية ونهاية الحملة المناهضة للشيوعية وفي اللحظة الفاصلة التي تمثلت في هجمات 11 سبتمبر 2001 ابتدعت الولايات المتحدة الأمريكية حملة جديدة تحوي إيديولوجية جديدة تحت

مسمى - الحرب ضد الإرهاب¹ - وهو مركب إيديولوجي استطاع بسهولة أن يخضع شعباً أصابته تلك الهجمات بالصدمة، وأن يبرر سياساتها الداخلية والدولية ويمدها بأرضية أخلاقية عالية لكل أفعالها المرتقبة (المطلب الأول).

وفي ظل هذه الأجواء أعاد المفكر الأمريكي "صامويل هنتجتون" طرح وجهة نظره من جديد، حينما دعا إلى تأصيل فكرة صدام الحضارات، باعتبار ما جرى في نيويورك وواشنطن يؤكد نظريته التي تضمنها كتابه "صدام الحضارات"، على نفس الشاكلة يرى "فرانسيس فوكوياما" أن المسلمين الأصوليين المتطرفين غير المتسامحين مع تعددية

¹ - هذا المصطلح ليس بجديد في قاموس الولايات المتحدة السياسي، فقد سبق لـ"ريغان" أن أعلن عنه قبل عشرين عاماً، حيث رفعت حكومته شعار الإرهاب الدولي الذي كان يمثله الاتحاد السوفياتي (سابقاً) - حسب اعتقاده - حيث دعت إلى ضرورة مكافحته ولقد قادت الولايات المتحدة الأمريكية حملة دعائية ضخمة مدعية أنها تحارب الإرهاب، وأثمرت جهودها هذه وتوجت بإعلان طوكيو، المتعلق بالإرهاب الدولي، الصادر بتاريخ 5 ماي 1986.

- لمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الله سليمان سليمان، ظاهرة الإرهاب والقانون، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية و السياسية، العدد (4)، ديسمبر 1990، ص 921.

- أنظر أيضاً: الاهتمام العالمي بالإرهاب. على الموقع: www.albayan.co.ae.

الرأي والمعارضة، أضحوا في رأيه فاشيستي هذا العصر، وأعتى مناهضي الحداثة¹. (المطلب الثاني).

المطلب الأول: الحملة الغربية ضد الإرهاب الإسلامي على المستوى السياسي
في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001، ظهرت حالة أقرب إلى هوس (هيستريا) معادية للإسلام والمسلمين في الإعلام الأمريكي، وأيضاً بين كثير من السياسيين، ولقيت هذه الهيستريا الخطابية والمواقفية تشجيعاً معتبراً من جانب أنصار إسرائيل من النشطاء والسياسيين والمتقنين... فقد سارعوا إلى رسم خطوط متوازية لإرهاب يلهمه الإسلام ضد إسرائيل والولايات المتحدة على السواء². ومع ذلك فقد زادت وألحت منذ ذلك الوقت التعليمات العنصرية، وحفظ الملفات الشخصية الاجتماعية عن الأمريكيين العرب والمسلمين المسافرين جواً، والتمييز ضدهم في الوظائف وأماكن العمل، وكذلك الأشكال الأخرى من التحرشات والإساءات غير المشروعة³.

¹ - عصام نعمان، أمريكا والمسلمون: مشكلة علاقة، في: العرب والعالم بعد 11 أيلول / سبتمبر، سلسلة كتب المستقبل العربي (23)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، 2002، ص 303.

² - سميح فرسون، جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب، في: العرب والعالم... مرجع سابق، ص 195.

³ - المرجع نفسه، ص 196.

إذا كانت الحرب الأمريكية ضد الإرهاب لا تعير أي اهتمام لمبادئ القانون الدولي ولقواعد القانون الدولي الإنساني، فإن أخطر ما فيها هو إصباغها بصبغة دينية، حيث صرح الرئيس الأمريكي آنذاك "جورج بوش الابن" بقوله « أن الحملة التي نخوضها ضد الإرهاب إنما هي حملة صليبية ضد الإرهاب »¹. وتوالت فيما بعد التصريحات من بعض المسؤولين في الدول الغربية التي ساهمت في الحملة ضد الإرهاب، محاولين الربط بين الإسلام والإرهاب الدولي مثل ما صرح به رئيس الوزراء الإيطالي "برليسكوني" الذي تحدث عن التفوق الحضاري الغربي، وإذا حاول إجراء نوع المفاضلة بين المسيحية والإسلام، باعتبار أن هذا الأخير دين آخر البشرية عن التقدم².

في نوفمبر 2001 نقلت الأخبار أن المدعي العام "جون أشكروفت" نفسه قال في مقابلة مع إذاعي على محطة إذاعية « الإسلام دين يطلب فيه الله منك أن ترسل ابنك ليموت في سبيله، أما المسيحية فهي عقيدة يرسل فيها الرب ابنه ليموت من أجلك »³ واقترحت كاتبة الرأي

¹ - نقلا عن: عبد الحسين شعبان، الإرهاب الدولي وحقوق الإنسان. رؤية عربية،

على الموقع: <http://www.rezgar.com> -

² - المرجع نفسه.

³ - نقلا عن: سميح فرسون، جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب، مرجع

سابق، ص 196.

المحافظة "آن كولتر" فيما يبدو أنه نوبة غضب: « يتعين علينا أن نغزو بلادهم (المسلمين)، ونقتل زعماءهم ونحولهم إلى المسيحية »¹.

لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تتصور أنها سوف تُلدغ في عقر دارها، كما حدث في 11 سبتمبر 2001، ذلك أنها خاضت عدة حروب باردة وساخنة دون أن تُقاتل على أرضها أو تخدش حدودها، ولكن مناطق كثيرة من العالم كانت بالفعل ساحات قتال يخوض عليها الجنود الأمريكيون حروبهم العادلة وغير العادلة².

ترك انهيار الاتحاد السوفياتي أمريكا في وضع حرج ففي السابق كان العدو الأساس هو الخطر الأحمر الشيوعي الذي يسعى لحماية العالم الحر منه، لقد تركتهم إمبراطورية الشر التقليدية وبات الكون بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية كله فراغ ورهبة موحشة، وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية منذ بداية التسعينات في تبني سياسة البحث عن أعداء، واكتشفت أن هناك أربعة أعداء يمكن أن يكونوا أهدافاً وأعداء لها ويمكن أن توجه حربها ضدهم وهم:

- الجماعات الإرهابية.
- انتشار أسلحة الدمار الشامل.
- تجارة المخدرات.

¹ - المرجع نفسه، ص 196.

² - عبد القادر رزيق المخادمي، النظام الدولي الجديد. الثابت... والتغير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية. 2003، ص 227.

- الجريمة المنظمة¹.

لقد كان لصدمة صبيحة يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 على الولايات المتحدة الأمريكية أبلغ الأثر وكرد فعل على ذلك أعلنت الإدارة الأمريكية بقيادة "جورج بوش الابن" الحرب. إنها الحرب ضد الإرهاب. وأي إرهاب. إنه الإرهاب الإسلامي بمفهوم الإدارة الأمريكية، وتكون هذه الإدارة قد استبدلت إمبراطورية الشر بمحور الشر. ويقصد بالأولى الاتحاد السوفياتي سابقاً ويقصد بالثانية الدول الراحية للجماعات الإرهابية ويقصد بها على وجه الخصوص (إيران، ليبيا، سوريا...). لقد جاء رد الفعل الأمريكي عفويا في ظاهره، إستراتيجياً في باطنه. حيث سارعت الإدارة الأمريكية في اتهام المسلمين بالكارثة التي حلت بهم، وإذا كان بقاء العدو مجهولاً يضاعف زعر الجمهور، فكان "بن لادن" هو العدو وهو القائد الحقيقي لتلك الهجمات حسب التصور الأمريكي.

المطلب الثاني: الحملة الغربية ضد الإرهاب الإسلامي على المستوى الثقافي الحضاري

من منطلق "وحدوية" المسلمين برزت في الولايات المتحدة الأمريكية نظرة أحادية خارجية إلى الإسلام بل نظرة عنصرية يقول "صموئيل هنتنغتون" « أن الفروق بين الحضارات ليست فروقاً حقيقية فحسب بل هي فروق أساسية أيضاً، فالحضارات تتميز الواحدية عن

¹ - المرجع نفسه، ص 227.

الأخرى بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، والأهم بالدين»¹. ولأن الإسلام والمسلمين يُشكلون حضارة واحدة، فإن "هنتنغتون" يستشف من تاريخ صراعات المسلمين مع جيرانهم ومنافسيهم خطراً مقيماً على الغرب، بل هو يذهب إلى أبعد من ذلك بقوله: «أنه ليس صحيحاً أن الإسلام لا يُشكل خطراً على الغرب وأن الإسلاميين فقط هم الخطر ذلك أن تاريخ الإسلام خلال أربعة عشر قرناً يؤكد - في رأيه - بأنه خطر على أية حضارة واجهها، خاصة المسيحية»². وفي هذا السياق يعتقد "هنتنغتون" أن للإسلام حدوداً دموية مشيراً بذلك إلى النزاعات مع الصرب الارثوذكس في البلقان ومع الهندوس في الهند ومع اليهود في إسرائيل ومع الكاثوليك في الفيليبين³.

ما نلاحظ على أفكار "هنتنغتون" هو تجاهله للدور الذي تقوم به الدول في الصراعات، وممارسة سياسة المصلحة والمكر التي تتبعها لتأكيد نفوذها وسيطرتها، وأن الدول هي التي تتحكم في العلاقات والروابط الحضارية وليس العكس، أي أنها تؤكد على هذه الشروط فقط، إذا رأت أنها تخدم مصالحها السياسية والاقتصادية⁴. ضف إلى ذلك أن الحضارات تتفاعل ولا تتصادم أو تتصارع، ولا يمكن لهذا التفاعل أن

¹ - عصام نعمان، إمريكا والمسلمون : مشكلة علاقة، في: العرب والعالم... مرجع سابق، ص 300.

² - المرجع نفسه، ص 301.

³ - المرجع نفسه، ص 301.

⁴ - عبد القادر رزيق المخادمي، النظام الدولي الجديد، مرجع سابق، ص 125.

يؤدي إلى الإرهاب والحروب وبث الموت والرعب والدمار لهذه الأسباب وغيرها يخالف الكثير رأي "هنتغتون" ويرون أن العمل حسب نظريته من شأنه أن يُعرض المجتمع الدولي والعلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة إلى خطر جدي. فهو إذ يُعيد هذه الاعتداءات إلى موقف تعميمي عدائي وغير عقلاني للإسلام من الحضارة الغربية، يغفل إمكانية أن يكون منفذوا هذه الاعتداءات قد قاموا بها بدوافع محض سياسية رداً على الأوضاع الخطيرة والمأساوية التي خلفتها السياسات الأمريكية في بلدانهم¹.

يُقر "فرانسيس فوكوياما" صاحب كتاب "نهاية التاريخ" بوجود بعض المؤثرات الحضارية بصدد هجمات 11 سبتمبر 2001 والحرب على الإرهاب، غير أنه يرفض مقولة "صدام الحضارات" لتفسير هذه الأحداث، مصرّاً في المقابل على نظريته في نهاية التاريخ يقول: « إن الحداثة التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الديمقراطيات المتقدّمة، سوف تبقى القوة المسيطرة في السياسة الدولية، والمؤسسات التي تجسد المبادئ الأساسية للغرب في الحرية والمساواة سوف تستمر بالانتشار حول العالم. إن اعتداءات 11 سبتمبر 2001 ليست إلا محاولة رجعية يائسة في وجه العالم المعاصر الذي يبدو وكأنه قطار شحن مسرع بالنسبة لأولئك الذين لا يرغبون بالصعود إلى

¹ - أحمد حسين سويدان، الإرهاب الدولي في ظل المتغيرات الدولية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص168.

متنه¹. ويستطرد قائلاً: « إن الإسلام الفاشستي هو تهديد خطير للغرب يفوق في العديد من جوانبه مخاطر الشيوعية، ويجب أولاً للقضاء عليه نجاح العمليات العسكرية ضد "طالبان" و"القاعدة" ومن ثم ضد نظام "صدام حسين" في العراق ذلك أن القضاء على فكر وعقيدة هذا الإسلام الفاشستي لن يكون ممكناً إلا بالأعمال العسكرية، فالنازية لم تسقط لأن أفكارها عنصرية ومتناقضة من داخلها وإنما لأن ألمانيا خسرت الحرب². »

يرى "فوكوياما" أن الحرب ضد الإرهاب ليست ضد مجموعة من الإرهابيين، وإنما ضد الإسلام الراديكالي الأصولي الفاشستي غير المتسامح والذي هو بطبيعته ضد الحداثة ولا يرى في الغرب إلا صورة العدو، رغم ما قام به هذا الغرب إلى جانب المسلمين في البوسنة والصومال وكوسوفو والشيشان، وعن كيفية نشوء هذا الإسلام، فإن "فوكوياما" يشبه ظروف نشأته بتلك التي أدت إلى نشوء النازية وتطورها في ألمانيا بدايات القرن العشرين.

إن "فوكوياما" لا يقر ولا يعترف بأن للولايات المتحدة الأمريكية دوراً أساسياً في تكوين الجذور الحقيقية لظاهرة "الإسلاموية الفاشية"

¹ - المرجع نفسه، ص ص 169، 170.

² - المرجع نفسه، ص 171.

- راجع أيضاً: عصام نعمان، أمريكا والمسلمون: مشكلة علاقة في: العرب والعالم... مرجع سابق، ص 303.

مستبعداً تحميل سياساتها الخارجية في فلسطين أو العراق أو إيران أي مسؤولية مباشرة عن ذلك.

للأسف فإن نظرة الغرب التي لا تريد التفريق أحياناً بين الإسلام كدين كبقية الأديان الأخرى وبين تياره السياسي الذي يتحرك باسمه ويرتكب أعمالاً شائنة وإجرامية تحت غطاءه.

إن هذا الخلط الغربي -إذا جاز التعبير- يجد له ما يبرره إزاء ما يجري في بعض البلدان الإسلامية من فضاعات وارتكابات يندي لها الجبين، سواء الانغلاق والتفوق وهدر حقوق الإنسان بحجة الخصوصية والسيادة وعدم التدخل.

إذاً الولايات المتحدة الأمريكية خاصة والدول الغربية عامة وجدت مرتعاً خصباً لابتداع فكرة الإرهاب الإسلامي لتحقيق إستراتيجياتها الاستعمارية التوسعية الإمبريالية.

المبحث الثاني: الهدف البعيد من إبتداع فكرة الإرهاب الإسلامي وضرورة التفرقة بين الإرهاب كجريمة والدين الإسلامي

إن العامل الذي ساهم وزاد من الصدام بين الولايات المتحدة الأمريكية خاصة والدول الغربية عامة والإسلام هو ما تصوره وسائل الإعلام الغربية بالربط بين الإسلام والعنف، وأن الإرهاب صناعة إسلامية، ومما يؤسف له أن الإسلاميين المتطرفين غالباً ما يصفون أعمالهم الإرهابية بمصطلحات تسهم في شحن مشاعر الحقد، فأعلان الحرب ضد اليهود والصليبيين كما فعل زعيم "تنظيم القاعدة" "بن لادن"

وتفسير خطف الطائرات وتفجيرها في أحداث 11 سبتمبر 2001 على أنها أعمال جهاد، ساهم بقدر كبير في توسيع فكرة الربط بين الإرهاب والإسلام في الأوساط الغربية¹. فضربات نيويورك وواشنطن، ونيروبي ودار السلام... لم تفد في ردع الولايات المتحدة الأمريكية بل أعطت لها مشروعية الغزوات العدوانية التي باتت الولايات المتحدة الأمريكية القيام بها تحت غطاء الحروب الوقائية من أجل تحقيق الأمن والسلم للولايات المتحدة الأمريكية وللعالم كافة. من خطر الإرهاب الإسلامي (المطلب الأول). ولذا على الدول الإسلامية التحلي بروح الانتباه والحذر من مغبة الوقوع في براثن الدول الغربية التي تريد اكتساح العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تسعى باستمرار إلى دفع مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة إلى استصدار قرارات تبيح لها استخدام القوة العسكرية في حروبها الاستباقية ضد خطر الإرهاب الدولي، استناداً إلى مبدأ الدفاع عن النفس حسب ما تؤكد المادة (51)² من ميثاق منظمة الأمم المتحدة، وما القرارين (1368³ و1373¹) الصادران عن مجلس الأمن لأحسن دليل على ذلك (المطلب الثاني).

¹ - أسعد أبو خليل، ترجمة: ميرفت خليل. الحرب الأمريكية ضد الإرهاب، دار الآداب، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص 40.

² - أنظر المادة (51) من ميثاق منظمة الأمم المتحدة.

³ - أنظر القرار رقم (1368) الصادر عن مجلس الأمن الدولي بتاريخ

2001/09/12.

المطلب الأول: البعد الحقيقي للدول الغربية عامة والولايات المتحدة الأمريكية في ابتداع فكرة الإرهاب الإسلامي

لو تأملنا الفعل الإجرامي الوحشي الذي جرى في "بيسلان" بأوسيتيا الشمالية نتيجة احتجاز مقاتلين شيشان وعرب لحوالي ألف طفل بمدرسة هناك، وقد كان ذلك هو السياق الذي أدى إلى مقتل أربعمئة وجرح سبعمئة أكثرهم من الأطفال. لنتساءل بأي حجة جرى ذلك؟ بحجة إرغام الروس على الخروج من بلاد الشيشان، وقضية الشيشان قضية قومية عمرها أكثر من قرن، وقد كان الأمريكيون و الأوروبيون يدعمون حلاً هناك يتضمن استفتاء على حق تقرير المصير، ودلت التجارب على أن الروس لن يستطيعوا إخضاع الشيشان الوطنيين بالحديد والنار. ثم جاءت أحداث 11 سبتمبر فانتهز الروس والصينيون والإسرائيليون والقيليونيون... وكل الذين لهم مشكلة مع المسلمين تلك الأحداث للانضمام إلى الحرب على الإرهاب التي أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل إخضاع تلك الأقليات الإسلامية لسيطرتهم نهائياً وبدون استنكار من أحد بعد لجوء "حركات التحرير" هناك إلى احتجاز الرهائن وقتلهم، والإغارة على المدنيين ودخل الشيشانيون تحت تأثير "العرب الأفغان" أو بدون تأثيرهم في أعمال الإرهاب من تفجير المباني في المدن، إلى

¹ - أنظر القرار رقم (1373) الصادر عن مجلس الأمن الدولي بتاريخ

احتجاز الناس في المسرح، ثم إلى قتل الأطفال في أوسيتيا¹. وبذلك فبدلاً من أن تؤدي تلك الأعمال إلى إخراج الروس أنست العالم أعمالهم الفظيعة طوال أكثر من قرن بالشيشان وجعلت بقاءهم وعنهم مشروعاً لآماد طويلة، فما كانت الوسيلة خادمة للغاية بل مضادة لها، فضلاً عن الفظائع التي ألصقت بالإسلام والمسلمين ولن ينساها العالم بسهولة.

إن الولايات المتحدة الأمريكية غزت العراق مثلما غزت من قبل أفغانستان مدفوعة بهوس الرغبة في استرداد هبة مفقودة بعد ضربة موجعة في 11 سبتمبر 2001، كانت بحاجة - حتى قبل أن تتجمع لديها أدلة اتهام دافعة - إلى عدو هزيل مضمون هزيمته، تضمن في حربها معه نصراً سريعاً يُعيد لها ثقة غائبة بالنفس، ويسترد لها هبة ديست ودفنت تحت أنقاض برج ميني التجارة العالمي في نيويورك ووزارة الدفاع في واشنطن. ولعل ذلك خطوة نحو إقامة إمبراطورية كانت منذ انتهاء الحرب الباردة الحلم الكبير للولايات المتحدة الأمريكية في أن تسيطر على العالم، وتحيله إلى سياج أمن لتصريف سلعتها ومنتجاتها وللسيطرة على الموارد الرئيسية التي تحتاج إليها لإقامة الإمبراطورية الأمريكية². ولقد حددت الولايات المتحدة الأمريكية خطوات إقامة الإمبراطورية الأمريكية كالتالي:

¹ - رضوان السيد، أحداث 11 سبتمبر والغايات التي تبرر الوسائل، مرجع سابق، ص 6.

² - السيد مصطفى أحمد أبو الخير، تحالفات العولمة العسكرية، مرجع سابق، ص 180. 181.

أ- استخدام القوة العسكرية للسيطرة على الخليج وهو ما تم في العراق.

ب- التخلص من كل مصادر التهديد التي قد تقف حجر عثرة في طريق بناء الإمبراطورية.

ج- تتولى الإدارة الأمريكية قيادة القوى العالمية.

د- الاحتفاظ بالقواعد العسكرية وإضعاف أي قوة إقليمية تظهر في هذه المنطقة، لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية محتفظة بقواعد عسكرية في الخليج العربي في كل من الكويت والسعودية وقطر والبحرين وسلطنة عمان ثم العراق ثم أوزبكستان، وتركمنستان بوسط آسيا ثم في أفغانستان على حدود إيران الشمالية وأيضاً في باكستان والهند.

هـ- تطوير نظام عالمي جديد يقوم على قيادة الولايات المتحدة الأمريكية لردع الأنظمة المارقة¹.

إن العدوان الأنجلو ساكسوني على العراق يُجسد الحكم الأمريكي في إعادة رسم خريطة العالم لتتناسب مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ورفاهية شعبها، باعتبارها القوة الوحيدة العظمى في العالم. ضف إلى كل ذلك فلقد رأت الولايات المتحدة الأمريكية أن إحكام الهيمنة وضمان احتكار القرار الدولي والإنفراد بالنفوذ الدولي لا يتحققان إلا بتقييد نمو القوى المنافسة الجديدة بالتحكم في أهم الموارد التي تساعد

¹ - المرجع نفسه، ص ص 181 . 182.

على النمو الاقتصادي وهو النفط، لذلك عملت الولايات المتحدة الأمريكية على احتلال أفغانستان طمعاً في بترول وغاز بحر قزوين، ثم احتلال العراق لبسط الهيمنة على النفط العراقي للتحكم في منافسيها المحتملين وربط وصولهم إلى منابعه في الشرق الأوسط برضاء الشريك الأمريكي وشروطه¹.

إذا تحت شعار محاربة الإرهاب - الذي هو مفهوم أيديولوجي - هدفت الإدارة الأمريكية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف إنها أهداف تطال إعادة صياغة العالم والتحكم الاقتصادي به، وبالتالي السيطرة السياسية والعسكرية عليه، أي تكريس لما قال به "فرنسيس فوكوياما" بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والذي نظر إلى هذا الانهيار كنتيجة حتمية وطبيعية لـ "تفوق القيم الرأسمالية" المتمثلة في الديمقراطية والحرية واقتصاد السوق الحر، ومع تأكيد الرئيس "جورج بوش الأب" في أحد خطاباته أنه لن يفوت الفرصة التاريخية التي أتته مع انهيار المعسكر الشيوعي لإعادة صياغة العالم².

إذاً يمكن القول أن فكرة الإرهاب الإسلامي الذي ابتدعه الدول الغربية عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، كانت المطية والوسيلة الأساسية لهيمنة الولايات المتحدة على البلدان الإسلامية بصفة عامة، ومحاولة إقامة الشرق الأوسط الكبير وهذا بإضعاف الدول الإسلامية في

¹ - المرجع نفسه، ص ص 182. 183.

² - فنسان الغريب، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008، ص 63.

هذه المنطقة وتقسيمها إلى دويلات صغيرة تكون سهلة المنال وكانت العراق هي البوابة الرئيسية لهذه الفكرة.

إذا كان الغرب وبالخصوص الولايات المتحدة الأمريكية قد تعزز على بعض الأعمال ضده وبخاصة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 الإجرامية لدمغ الإسلام بالتعصب والتطرف وأعمال العنف و الإرهاب، فإن الموجة التي اجتاحت بلداننا وشعوبنا كان ثمنها باهظاً، ولم يكن أحياناً بمعزل عن بعض التوجهات الغربية، التي استثمرت بعض الأعمال لمصلحتها الخاصة، لذلك فإن اتهام شعوب وأمم بأكملها بالإرهاب إنما هو محاولة سياسية لإملاء الإدارة وفرض الهيمنة بحق دول وشعوب وحركات مقاومة مشروعة ضد الاحتلال¹. من هنا تثار بعض التساؤلات القانونية والفكرية المشروعة حول ازدواجية المعايير وانتقائية بعض مواقف الغرب والسياسة ذات الوجهين، فالتيار الإسلامي في أفغانستان لم يكن أصولياً حينما كان يقوم بمهمة التصدي للوجود السوفياتي - سابقاً - لكنه سرعان ما تحول إلى نوع من الإرهاب الدولي بمجرد الانتهاء من تلك المهمة التي كان يُحظى بها بدعم الغرب ومؤسساته.

إذاً فكرة الإرهاب الإسلامي وليس الإسلامي هي واقع وحق لا مرأى فيه. غير أنه حق وواقع أريد به باطل، ظاهر الدول الغربية هو محاربة هذا الإرهاب المتطرف، لكن باطنه هو تحقيق أهداف إستراتيجية بعيدة المدى.

¹ - عبد الحسين شعبان، الإسلام والإرهاب الدولي، مرجع سابق، ص 125.

المطلب الثاني: ضرورة التفرقة بين الإرهاب كجريمة دولية والدين الإسلامي كديانة سماوية

لا يجوز أن يستدل على الإسلام بأفعال بعض المسلمين، فالإسلام حجة عليهم، وليسوا هم عنواناً أو حجة على الإسلام، فالشيء المتفق عليه في جميع الديانات أنه لا حق لأحد أن ينصب نفسه فوق غيره ديناً واستقامة ثم يبيح لنفسه أن يعاقب هو نيابة عن الله من يعتبره خارجاً عن الدين كما يفهمه هو وكل ما تسند إليه النظرية الغربية مما تلاحظه من سلوكيات، إنما هو مستهجن أيضاً لدى العقلاء من المسلمين وهي على أية حال سلوكيات دافعها سياسي ولا علاقة لها بالإسلام. أما اعتراض النظرية الغربية على ما تراه انتهاكا لحقوق الإنسان ومبدأ المساواة في الشريعة الإسلامية في قضية عقائدية فلا حق لهم المساس بأحكامها¹.

استعرضت البحوث والدراسات التي قدمت ضمن أعمال الدورة الحادية عشرة للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث التي عقدت في استكهولم بالسويد في بداية شهر جويلية 2003 برئاسة "الشيخ يوسف القرضاوي"، قضية الجهاد ونفي علاقته بالإرهاب، وكان القاسم المشترك للبحوث والدراسات التي نوقشت في ختام أعمال هذه الدورة هو تحديد مفهوم الجهاد والإرهاب. حيث يرى الشيخ "يوسف القرضاوي" أن الإرهاب المتفق عليه والذي لا يكاد يخالف فيه أحد وتُحاربه كل الشرائع

¹ - عبد الله الأشعل، المسلمون والنظام العالمي الجديد، مرجع سابق، ص 124.

والقوانين، الإرهاب المدني وهو الإرهاب الذي يُهدد حياة الناس المدنية والاجتماعية بواسطة العمليات الإجرامية، وهو الذي يقوم به قطاع الطرق ومن على شاكلتهم ينهبون الأموال ويسفكون الدماء، ويتحكمون في رقاب الناس وممتلكاتهم بقوة السلاح¹.

تطرق الشيخ "يوسف القرضاوي" في بحثه إلى الإرهاب المشروع ... فمما لا خلاف عليه أن المقاومة الوطنية للغازي المحتل أمر مشروع لأهل الدار ولا ينكره سماوي، ولا قانون وضعي ولا ميثاق دولي، ففي هذه الحالة يكون الهدف والوسيلة مشروعان. أما الإرهاب غير المشروع فهو أنواع منه ما لا يكون الهدف والوسيلة فيه مشروعين مثل ما يقوم به تجار المخدرات ومثل ما تفعله جماعات المافيا. ومن الإرهاب غير المشروع أن يكون الهدف مشروعاً والوسيلة غير مشروعة مثل خطف الطائرات بركابها المدنيين الذين لم يقتربوا جرمًا، وليس بينهم وبين الخاطفين أي قضية، يهددون بهم آخرين من خصومهم إما أن يحققوا لهم مطالبهم وإما أن يفجروا الطائرة بمن فيها، أو يقتلوا بعض من فيها².

إن الإسلام دين المسلمين وثقافتهم، هم شكله ومضمونه وفواعله وحركته، وإن كانوا مقصرين عن بلوغ مثله العليا، فلا يمكن فهم الإسلام إلا من خلال فهم المسلمين في تفكيرهم وتدبيرهم وسلوكهم ومؤسساتهم

¹ - نقاش ساخن حول العلاقة بين: الجهاد... العمليات الاستشهادية... والإرهاب. جريدة الشروق، يومية وطنية، العدد (827)، الصادر بتاريخ 4 جويلية 2003، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 11.

وإنجازاتهم وتجاربهم وتوقعاتهم باختصار. الإسلام روح، والمسلمون جسد، والاثنتان يؤلفان كياناً عالمياً اجتماعياً تاريخياً ومنتامياً في مدى الزمن. الإسلام واحد في روحه وجوهره ومثله وأركانه، لكنه مُتعدد في فهم المسلمين له وتفسيرهم لقرآنه وتعبيرهم عن مثله وتطبيقهم لأركانه ومعاملاته¹.

إذاً يجب التمييز بين الإسلام كدين سماوي يدعوا إلى التسامح ونبذ العنف، وبين استغلال الدين الإسلامي لتحقيق مآرب سياسية وهو ما يسمى بالإسلاموية.

إن الإسلام بريء من الأعمال الإرهابية التي تقوم بها بعض الجماعات التي تحمل شعار الإسلام لتبرير مواقفها وأعمالها الإرهابية الإجرامية التي ينبذها الدين الإسلامي وكل القوانين الوضعية. لكن هذا لا يؤدي بنا إلى الاهتمام بما يقوم به المتطرفون المسلمون من أعمال إرهابية، ونغض الطرف عن الجرائم الإرهابية التي تقوم بها إسرائيل كل يوم ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، وما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بعد غزوها لأفغانستان وقتلها لمئات المدنيين، ونفس الأمر حدث وما زال يحدث في العراق. فالإرهاب الذي تمارسه الولايات المتحدة اليوم على دول العالم خاصة الدول العربية والإسلامية، فهي تريد أن تُكره العالم كله على السير في ركابها، والدوران في فلك سياستها،

¹ - عصام نعمان، أمريكا والمسلمون: مشكلة علاقة. في: العرب والعالم... مرجع سابق، ص 199.

يعادي جميع من خالفها في دعواها المتمثلة في الحرب على الإرهاب. وما الإرهاب؟ إنه الإرهاب الذي تراه الولايات المتحدة الأمريكية إرهاباً. أي كل ما له صلة بالإسلام والمسلمين. فالشعار الذي رفعته أمريكا وألزمت به العالم أجمع "من ليس معنا فهو مع الإرهاب".

إن الغريب في الأمر أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول قدر الإمكان الحصول على الشرعية الدولية في عملها الإستراتيجي لغزو العالم وتحقيق الإمبراطورية الأمريكية متخذة العدو الجديد "الإرهاب الإسلامي" كمطية للوصول إلى مبتغاها. حيث يعتبر قرار مجلس الأمن الدولي رقم (1373)¹ من أكثر قرارات المجلس إثارة للجدل خاصة على المستوى القانوني، حيث رأى فيه البعض الآلية القانونية الشاملة لمكافحة الإرهاب الدولي وتحديد واجبات الدول في هذا المجال، واعتبره البعض الآخر في المقابل مجرد أداة جديدة للضغط على الدول الصغرى وتسخيرها للهيمنة الأمريكية². ومن هي الدول الصغرى هذه؟ إنها الدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص، وكل هذا من أجل استعمارها من جديد وجعلها تحت سيطرة الدول الكبرى خاصة الولايات المتحدة الأمريكية. وتكون هذه الدول قد قدمت فرصه من ذهب للولايات المتحدة الأمريكية حتى تحقق مآربها الإستراتيجية. والدول العربية والإسلامية تكون قد قدمت هذه الفرصة إما بتصرفاتها العشوائية إزاء

¹ - راجع مضمون القرار رقم (1373) الصادر عن مجلس الأمن الدولي بتاريخ 12

نوفمبر 2001.

² - أحمد حسين سويدان، الإرهاب الدولي، مرجع سابق، ص 153.

ما يحدث في العالم من تخطيط ومؤامرة ضد هذه المنطقة العربية والإسلامية وعدم الكف عن سياستها التسلطية الديكتاتورية ضد شعوبها ومواطنيها. وإما باستخدامها للأسلوب الإعتذاري والتبريري لما تقوم بها الجماعات الإرهابية التي تأخذ من الدين الإسلامي مطية للأعمال الإرهابية التي تجرمها المواثيق الدولية بالمعنى الصحيح وليس بالمفهوم الأمريكي والإسرائيلي.

خاتمة

بعيداً عن كل التبريرات القانونية والأخلاقية، فلقد كان واضحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية، تعمل تحت ذريعة مكافحة الإرهاب لتحقيق مصالحها في التوسع والهيمنة، وأن مجمل ما اتخذته من إجراءات وشنته من حروب هو بالطبع خارج أي محاولة جدية لمناقشة الإرهاب الدولي والقضاء على أسبابه. ولقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في خلق عدو جديد لتبرر به أعمالها غير المشروعة، إنه الإرهاب الإسلامي الذي كان بديلاً حقيقياً للعدو السابق المتمثل في الشيوعية التي كانت تقودها قوة الاتحاد السوفياتي سابقاً. غير أن الواقع الاقتصادي والسياسي والديني والعسكري... الذي تعاني منه المجتمعات العربية الإسلامية لم يستطع أن يبين للعالم أن هناك فرقاً شاسعاً بين الإسلام ومن يتخذه كذريعة للقيام بأعمال إرهابية يدينها الجميع. وإن كانت الدول الغربية عامة والولايات المتحدة خاصة تعتمد عدم التفريق بين الإسلام كدين والإسلاموية كسياسة حتى تضع الجميع في قفص اتهام واحد. لأن استنباط النظرية الغربية

لبعض الحدود الإسلامية ونظم التوارث والأسرة والأحوال الشخصية، وعدم اقتناعهم بسمو التشريع الإلهي الإسلامي في ذلك، فهو أمر ليس مجالاً للخلاف بين الغرب والمسلمين وما دام الغرب لا يؤمن بمصدر التشريع الإسلامي، فلا أهمية لإقناعه بحكمة التشريع الإسلامي علماً بأن الغرب يُسلم بعظمة التشريع اليهودي، ولا يثير شيئاً ضد الإرهاب الصهيوني واليهودي والمسيحي، ويوشك أن يعتبره هذا الإرهاب بطولة وعبقرية.

أخيراً وليس آخراً يمكن القول أن الغرب عامة والولايات المتحدة الأمريكية قد استفادت من تخاذلنا نحن المسلمين حتى تستعمرنا وتذلنا بديننا ولغتنا وكل ما هو مقدس بالنسبة لنا كمسلمين.